المديح النبوي عند الشاعر عبد الرحمن العشماوي
دراسة أدبية تحليلية

د. عصام الدين دفع الله محمد*

ملخص البحث

هذا البحث "المديح النبوي عند الشاعر عبد الرحمن العشماوي" يسعى إلى إبراز غرض من أغراض الشِّعر عند الشاعر عبد الرحمن العشماوي وهو المديح النبوي، وإبراز العاطفة التي سيطرت على الشاعر وهو يمدح النبي الكريم ويدافع عنه ويبرز شمائله. ولتحقيقِ تلكمُ الأهدافِ؛ اعتمدَ البحثُ على المَنْهَجِ الوصفيِّ التحليليِّ الذي يُبيِّنُ أهدافَ النصِّ التي قصدَ إليها الشَّاعرُ، والخصائصَ الشّعرية لذلك النوع من الشعر. درس الباحث وحلّل في ثنايا البحث الشِّعْرَ الذي مدح به الرسول الكريم، وانتقل الباحث مُحلِّلاً لشعر الشاعر في الدفاع عنه، وإبراز صفاته العظيمة.

الكلمات المفتاحية: المديح النبوي، العشماوي، تسلية، العاطفة القوية، الاقتداء بالرسول.

Abstract

This research seeks to highlight the Prophetic Praise as a purpose among many purposes of poetry according to the poet Abdul Rahman Al Ashmawi and to highlight the emotion which seized control of the poet while praising the Holy Prophet , defending him, and highlighting his merits. In achieving these goals, the research relied on descriptive and analytical approach that shows the objectives of the text intended by the poet and poetical characteristics of that type of poetry. The researcher studied and analyzed the poetry written in the Praise of the Prophet by the poet

---

* محاضر بقسم لغة القرآن، مركز الدِّراسات الأساسية (سلباد)، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

and then turned to analysis of the poetry written in defense of the Prophet by highlighting its great qualities.

Key words: Praise of the Prophet, Al-Ashmawi, Entertainment, Strong Emotion, Following the Prophet.

Abstrak

Kajian ini bertujuan untuk menyerlahkan segala pujiaan bagi Nabi Muhammad (saw) sebagai maksud di kalangan banyak maksud bagi puisi berdasarkan penyair Abdul Rahman al-Asmawi dan untuk menyerlahkan emosi yang merampas kuasa kawalan penyair pada masa memuji Nabi Muhammad (saw), mempertahankan dia, dan menonjolkan meritnya. Dalam pencapaian matlamat ini, kajian bergantung kepada pendekatan deskriptif dan analisis yang menunjukkan objektif teks yang dimaksudkan oleh penyair dan ciri-ciri puisi jenis itu. Penyelidik mengkaji dan menganalisis puisi yang ditulis bagi memuji Nabi Muhammad (saw) oleh penyair dan kemudian beralih kepada analisis puisi yang ditulis untuk mempertahankan Nabi Muhammad (saw) dengan menonjolkan sifat-sifatnya yang hebat.

Kata Kunci: Pujiaan Nabi Muhammad (saw), Al-Ashmawi, Hiburan, Emosi Yang Kukuh, Mengikut Nabi

مقدِّمة

العشماوي[1] – وهو أحد شعراء الإتجاه الإسلامي – لم يَتَّخِذِ الشعرَ سبيلاً للشهرة، بل صدر شعره من نفس مؤمنة بربِها، عاملة من أجل أمتها،

---

[1] هو الشاعر السعودي، عبد الرحمن بن صالح العشماوي الغامدي الذي ينتسب إلى قبيلة غامد التي تقطن منطقة الباحة، في جنوب السعودية. ولد العشماوي في العام 1955م، بمنطقة الباحة، في قرية تسمى عراء، التي تعتلي في شموخ قمة جبل بني ظبيان، لتغازل السماء والسحاب والقمر. نشأ فيها العشماوي وسط أسرة ربته نعم التربية، وأدبته فأحسنت تأديبه، أرضعته علمًا، وسقته من كؤوس الشعر، فارتوى وفاضت نفسه من الشعر الذي سال مشاعر تُعبِّر عن ضمير الأمة، فأطفأ ظمأها، إلى هذا النوع من الشعر الذي يعبِّر عنها، تاريخًا، وآلامًا، وآمالاً.

شعر أراده الشاعر ليحمل رسالة إسلامية سامية فعالج قضايا أمته السياسية والاجتماعية والدينية، ذلك أن الشعر عنده ليس للحب والغزل، فإن كان مدحًا فإنما لمدح النبيِّ الكريم ومَنْ ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:23]، أو رثاءًا لمن قضى نحبه منهم، فخرًا بأمجاد الأمة ورجالها الأفذاذ، هجاءًا لأعداء الإسلام والمسلمين. جعل العشماوي من أمته غرضًا لشعره، إشادةً بدورها وتاريخها، مقاومةً لأعدائها، إبرازًا لمقدساتها وشعائرها الدينية. اصطبغت قصائد الشاعر العشماوي بصبغة الشعر الإسلامي؛ فكانت السِّمات العامة لشعره مستمدَّةً من خصائص الأدب الإسلامي، فالأدب الإسلامي يتَّصف بالشمولية؛ ذلك أنه يحمل نظرة الإسلام الشاملة للخالق سبحانه وتعالى، والإنسان والكون والحياة؛ فهو أدب يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية، وليس وقفًا على الحكم والمواعظ التي هي جزءٌ منه، إنه أدب الإيمان الراسخ الذي لا يتزحزح، وذلك هو الفرق الرئيس بينه وبين الآداب الأخرى، التي تستند إلى الباطل، وما استند إلى الباطل فهو باطل. بما أن هذا الأدب يقوم على أرضٍ أوتادها الإيمان؛ فهو يهدف إلى ترسيخ الإيمان بخالق الكون والحياة في النفوس، وغرس القيم المحمودة في النفس البشرية؛ ليسمو بعواطف الإنسان عن الانحلال والفجور، وتلك هي غايات سامية يُوَجَّه إليها الأدب لتمضي طاقات النفس البشرية إلى حقول الخير والفضيلة التي تَيْنَعُ فيها قطوف الإيمان بهيجةً تَسُرُّ الناظرين. إن الأدب الإسلامي يخرج من أفواهٍ آمنت بربها وعملت صالحًا، فالإيمان هو الشرط الذي لا بد منه لمن أراد أن يدخل رحاب هذا الأدب، كيف لا وهو الأساس الراسخ، الذي يقوم عليه الصرح الشامخ، ألا وهو عمل الصالحات، ومن على ذلك الصرح الشاهق يُطِلُّ الأدب الإسلامي على دنيا الناس شامخًا منطلقًا إلى الاهتمام بأمور المسلمين وقضاياهم، وأحزانهم، وآلامهم، هو أدب من مهماته الكبرى تعزيز القيم الإسلامية، وتربية المجتمع المسلم بخُلُقِ القرآن، هو أدب يجاهد الكفار

والمنافقين ويغلظ عليهم بأمر رسول الله ﷺ: «اهجهم يا حسان»[2]. نعم إنه سلاح الكلمة التي تحرقُ أحشاءَ الأعداء، وتصدع أفئدتَهم، وتشفي صدور قوم مؤمنين. وهو من جانبٍ آخر أدب الكلمة الطيبة الشريفة النّقية التي لامست فروعها السماء بسبب هذا الشرف والنّقاء ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ [إبراهيم:24].

وما من شك أن مدح المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، هو أصدق المدح؛ ذلك أنه يخرج من عاطفةٍ مُفْعَمَةٍ بحبه، والإيمان به، فحب الرسول ﷺ هو الأساس الذي لا يقوم الدين إلا به؛ والرسول ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[3]. والمدح ينبني على ذاك الحب الإيماني؛ وعلى ذلك يكون مدح الرسول عليه الصلاة والسلام جزءاً من الدين، كيف لا وقد مدح الله رسوله وأثنى على خلقه القرآني في قوله تعالى: ﴿وإنّكَ لعلى خُلُقٍ عظيم﴾ [القلم:4]. وأمر الله تعالى المؤمنين بالدعاء المستمر للنَّبي: ﴿إن الله وملائكته يُصلُّون على النبي يأيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسَلِّموا تسليمًا﴾ [الأحزاب:33]، ومدح الرسول ﷺ يكون بذكر صفاته الخُلُقِيَّة والخَلْقِيَّةِ، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره، والأماكن المقدّسة التي لها علاقة وثيقة بحياته، وذكر معجزاته، وغزواته، والإشادة بهما، وإعلاء قدرهما، والدفاع

---

[2] متفق عليه، فأخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي في **صحيحه**، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، (اليمامة-بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م)، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، ج5، ص2279، رقم5801؛ ومسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري في **صحيحه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، ج4، ص1933، رقم2486.

[3] متفق عليه، فأخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ج1، ص14، رقم15؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، ج1، ص67، رقم44.

عنه بكلمات تبرز قَدْرَهُ ومكانته عند الله والمسلمين، وتردع أعداءه، في الماضي والحاضر، أولئك الذين أعماهم جهلهم وحقدهم، عن رؤية نور الحق الذي أضاء ليل الجاهلية القديمة والمعاصرة. ولقد كان لحسان بن ثابت القدح المعلَّى في مدح الرسول ﷺ في أيام الإسلام الأولى، دفاعاً عنه، وثناءًا عليه، وهجاءًا لشانئيهِ الذين هم أعداء الله ورسوله. ومن أروع قصائد المدح النبوي، قصيدة البردة اللامِيَّة "بانت سعاد" التي مدح بها كعب بن زهير النبي ﷺ، عندما جاءه مُسْلِمًا متخفِّيًا بعد أن أهدر الرسولُ دَمَهُ، فكساه بردته. وامتدت الروعة في مدح النبي الكريم إلى ميمية البوصيري[4]: "أمن تذكر جيران بذي سلم"، التي نظمها مادحًا النبي ﷺ ومستشفعًا به؛ لأنه أصيب بالفالج، فرآه في المنام يمسح على وجهه ويلقي عليه بردته فبرئ. وعني العلماء والأدباء والمتصوفون بالقصيدتين، فألفت حولهما الشروح والمختصرات، وأُخضعتا للمعارضة والتخميس والتثليث والتشطير، وأُنشدتا في الأذكار، وترجمتا إلى كثير من اللغات. يقول الدكتور زكي مبارك: "البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة تلّقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غَنِيَتْ بها لغةُ التخاطب، وعن البردة عرفوا أبوابًا من السيرة النبوية، وعن البردة تلّقوا أبلغ درس في كرم الشَّمائل والخلال. وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل

---

[4] شرف الدين البوصيري 608-696هـ/1212-1296م محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله. شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أمّه منها. وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون. ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية ووفاته بالإسكندرية. (عن الموسوعة العالمية للشعر العربي).

التقرب إلى الله والرسول"[5]. وتأتي قصيدة نهج البردة التي نظمها الشاعر أحمد شوقي معارضاً بها قصيدة البوصيري في قائمة روائع المديح النبوي. ومن بعد البوصيري جاء الشيخ العارف بالله عبد الرحيم البرعي اليماني[6] الذي احتوى ديوانه على قصائد الإلهيّات، والنبويّات التي مدح فيها الرسول الكريم محمد ﷺ بِدُرَرٍ من القول تملأ القلوب نورًا، وتزيد الإيمان عمقاً؛ ذلك أنَّها خرجت من قلبٍ مفعمٍ بحبِّ النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم.

يُعَرِّف الدكتور زكي مبارك المدائح النَّبويَّة بقوله: "من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[7].

تأكيدًا لكل ما سبق ذكره، يُجسِّد الشاعرُ العشماوي، حبَّهُ العميقَ لسيِّدِ الأبْرارِ، فحبه في قلب الشاعر كشجرةٍ وارفة ظلالها، جماعات الطير تغرِّد فيها حبًّا وجمالاً، ذلك الحب الرائع جعل قلب الشاعر المحب يلتهب شوقًا للقاءِ المحبوبِ ورؤيةِ وجهه الكريم، إنها مشاعر جيّاشة تفيض بها نفس الشاعر، ولكن عجزت الكلمات عن وصفها، وأنّى للشعر أن يصف النبي البدر المنير الذي بدّد ظلمات الجاهلية، وأضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، يقول الشاعر[8]:

يا سيِّدَ الأبرارِ حُبُّكَ دوحةٌ في خاطري صدّاحةُ الأطيارِ
والشَّوقُ ماهذا بشوقٍ إنَّه في قلبي الولهان جذوةُ نارِ

---

[5] مبارك، زكي، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، (بيروت: المكتبة العصرية، 1935م)، ص215.

[6] هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني ت803هـ، من سكّان النَّيَّابتين في اليمن، حجَّ مرّاتٍ سيرًا على الأقدام.

[7] مبارك، زكي، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، ص17.

[8] العشماوي، عبد الرحمن صالح، **ديوان عناقيد الضياء**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط2، 2003م)، ص11.

حاولتُ إعطاءَ المشاعرِ صورةً   فَتَهَيَّبَتْ من وصفها أشعارِي
ماذا يقول الشعرُ عن بدرِ الدُّجى   لَمّا يضِيءُ مجالسَ السُّمَّارِ

ولا شكَّ أن تلك الدوحة ذات الظلال الوارفة في خاطر الشاعر تحتاج إلى ماءٍ نميرٍ يرويها لتظل خضراءَ شامخةً؛ لذا فالشاعر يجعل حبَّ الرسول الذي تغلغل في دمه، نهرًا صافيًا من الإكبار والإجلال لذلك المختار الذي ترك لأمَّته المحجَّة والإيمان، علَّمها التوحيد والصَّبر، يقول العشماوي[9]:

يا سيِّدَ الأبرار حُبُّكَ في دمي   نهرٌ على أرضِ الصَّبابةِ جاري
يا مَنْ تركتَ لنا المحجَّةَ نَبْعُها   نبعُ اليقين وليلُها كنهارِ
سحبٌ مِنَ الإيمان تُنْعِشُ أرضَنا   حينَ تَخَلُّفِ الأمطارِ
لكَ يانبيَّ اللهِ في أعماقِنا   قِمَمٌ مِنَ الإجلالِ والإكبارِ

دولة الإسلام، وأمة الإسلام، التي بناها الرسول الكريم ﷺ واضعًا إيّاها على المَحَجَّةِ البيضاء، والصِّراط المستقيم، أمة كانت خير أمة أخرجت للناس، أمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، أمة سادت الدنيا، وملكت زِمامَ أمرها عندما خضعت لها الدول الكبرى في بداية ظهور الإسلام، يقول الشاعر: إن هذه الأمة قد حادت عن سواء السبيل، وسارت تتبع أهواء العصر، وفلسفات وثقافات أعداء الإسلام، وكل هذا الذي يجري لأمة الإسلام، إنما هو خطة محكمة وضعها أعداؤها لإخراج الدين القَيِّم من القلوب والعقول، يقول الشاعر[10]:

ياسيِّدَ الأبرارِ أُمَّتُكَ التي   حررتَها من قبضةِ الأشرارِ
وغسلتَ من درنِ الرذيلةِ ثوبَها   وصرفتَ عنها قسوةَ الإعصارِ

---

[9] العشماوي، **ديوان عناقيد الضياء**، ص16.

[10] العشماوي، **ديوان عناقيد الضياء**، ص12.

ورفعتَ بالقرآن قدرَ رجالها   وسقيتَها بالحبِّ والإيثارِ
ياسيد الأبرارِ أُمَّتُكَ التَوَتْ   في عصرنا ومضتْ مع التَّيَّارِ
شربت كؤوسَ الذُّلِّ حين تعلقتْ   بثقافةٍ مسمومةِ الأفكارِ
إنِّي إراها وهي تسحب ثوبَها   مخدوعةً في قبضةِ السِّمْسَارِ[11]
إنِّي أرى فيها ملامحَ خُطَّةٍ   للمعتدين غريبةِ الأطوارِ

كيف يكون حبُّ الرسول ﷺ؟ يقول الشاعر: إن تفعيل حب الرسول وتحويله إلى واقع ملموس، هو التّمسّك بشريعة الإسلام في الظاهر والباطن، إلى جانب الاقتداء بالرسول ﷺ في أقواله وأفعاله؛ ذلك أن الله قد جعل لنا فيه أسوة حسنة، فحبُّ الرسولِ هو التّمسّك بسنّته، وحبها، والعمل بها، والدِّفاع عنها، كل هذه الأشياء التي تمثِّل الحبَ الحقيقي للرسول، تُخالطُ دمَ الشاعرِ، وتُشكِّل جزءًا من كيانه، وبهذه الطريقة فإن حبَّ الرسول ﷺ يجري من الشاعر مجرى الدم، يخالطه في كل دفقة من دفقاته؛ فالرسول قد ترك لنا كتاب الله وسنة رسوله، لنتمسّك بِهما هاديًا لنا من الضلال، والوقوع في أوحال الهوى، وهو الذي علّمنا التوحيد والولاء الحقيقي لله تعالى، ومن صبره تعلمنا الصبر عندما تُظلم الدنيا أمام خُطُواتنا، وتتكاثر علينا مصائب الدنيا، فيجب علينا بعد كل هذا أن نحافظ على هذا الإرث العظيم، الذي فيه خير نفوسنا وعقولنا، يقول الشاعر[12]:

---

[11] السِّمْسار. السِّمْسار فارسية معرّبة، والجمع السَّماسِرَة. وفي الحديث أن النبي ﷺ سمّاهم التُّجَّار بعدما كانوا يعْرفون بالسَّماسِرة، والمصدر السَّمْسَرة، وهي أن يتوكل الرجل من الحاضرة للبادية فيبيع لهم ما يَجْلِبونَه. فالسِّمْسار اسم للذي يدخل بين البائع والمشتري مُتَوَسِّطًا لإمضاء البيع. ابن منظور، محمد بن منظور بن مكرم الأفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3)، ج6، ص361.

[12] العشماوي، **ديوان عناقيد الضياء**، ص15.

حب الرسول تمسك بشريعة   غرّاء في الإعلان والإسرارِ
حب الرسول تعلق بصفاته   وتخلق بخلائق الأطهارِ
حب الرسول حقيقة يحيا بها   قلب التقي عميقة الآثارِ
إحياء سنته إقامة شرعه   في الأرض دفع الشك بالإقرارِ
إحياء سنته حقيقة حبه   في القلب في الكلمات في الأفكارِ
ياسيد الأبرار حبك في دمي   نهر على أرض الصبابة جاري
يامن تركت لنا المحجة نبعها   نبع اليقين وليلها كنهارِ
سُحب من الإيمان تنعش أرضنا   بالغيث حين تخلف الأمطارِ
لك يانبي الله في أعماقنا   قمم من الإجلال والإكبارِ
عهد علينا أن نصون عقولنا   عن وهم مبتدع وظنّ مماري
علمتنا معنى الولاء لربنا   والصبر عند تزاحم الأخطارِ
ورسمت للتوحيد أكمل صورة   نفضت عن الأذهان كل غبارِ

انطلاقاً من الحب العميق للرسول، والإيمان به، يتصدّى الشاعر بقوة ليُجيب عن تساؤلات كفار مكة، عندما ظهر عندهم نبي جديد ليس من عظمائهم، نبي جاءهم ليزيل ملكهم الموروث، ودينهم الذي وجدوا آباءهم عليه، ويساوي بين الشريف والوضيع، والسيِّد والعبد، يجيب الشاعر عن أسئلتهم المستنكرة قائلاً: إن القادم الجديد هو محمد الذي تعرفونه حقَّ المعرفة، تعرفون شمائله المحمودة، فهو ذاك الرجل العفيف الذي يكسوه الوقار، الرجل

المشهور بالأمانة، تقيُّ النفس، صافيها، ذلك المحسن الذي يكرم جاره، يقول العشماوي[13]:

وتساءل الكفارُ حين بدتْ لهم   في ظلمةِ الأهواءِ شمعةُ ساري
مَنْ ذلك الآتِي يَمُدُّ لِلَيْلِنا   قَبَسًا سيكشف عن خبايا الدارِ
مَنْ ذلك الآتِي يُزلزلُ مُلْكَنا   ويَرى عبيدَ القومِ كالأحرارِ
مابالَه يتلو كلامًا ساحرًا   يُغْرِي ويُلقي خطبةَ استنفارِ
هذا محمدُ ياقريشُ كأنَّكم   لم تعرفوه بعفةٍ ووقارِ
هذا الأمينُ أتجهلونَ نقاءَه   وصفاءَه ووفاءَه للجارِ

الضِّياءُ الذي يَعُمُّ الكونَ، ويضيئ للبشرية هو بعض من نور الرسول الكريم، ودين الإسلام هو أكبر نعمة أنعم الله بها على النبي، فجاء برسالةِ الإسلام لِيُتَمِّم مكارم الأخلاق، مبعوثًا إلى الإنسِ والجنِّ، وكان الجن قد استمعوا إلى الرسول يتلو القرآن؛ فتعجّبوا منه وأُعجبوا به، ودخلوا في دين الله أفواجًا، يقول الشاعر[14]:

من نَبْعِ هَدْيكَ تُستَقَي الأنوارُ   وإلى ضيائك تنتمي الأقمارُ
ربُّ العبادِ حباكَ أعظمَ نعمةٍ   ديناً يعزُّ بعزِّه الأخيارُ
حُفِظَتْ بكَ الأخلاقُ بعد ضَياعِها   وتَسامَقَتْ فى روضها الأشجارُ
وبُعثت للثقلين[15] بعثةَ سيدٍ   صدقتْ به وبدينه الأخبارُ
أصغتْ اليكَ الجنُّ وانْبَهَرَتْ بما   تتلو، وعَمَّ قلوبَها استبشارُ

---

[13] العشماوي، **ديوان عناقيد الضياء**، ص15.

[14] العشماوي، عبد الرحمن صالح، **قصيدة هو المختار**. www.awfaz.com.

[15] الثقلان هما الإنس والجن.

الرسول الكريم الذي هو خير من سار على ظهر البسيطة، إلى رؤيته تشتاق الشمس، ويفرح النهار لتلك الرؤية التي أكسبت مدينة يثرب، وسكّانها شرفًا عظيمًا، وكان أكبر انتصار للإنسانية كلِّها قيام مدرسة محمد ﷺ التي جمعت بين مختلف العلوم، ونَهَلَ من معينها العذبِ الصالحون الذين ربّاهم خيرُ معلمٍ، سقى الحديث، ونَاولَ التّنْزيل؛ فاهتدى أولئك الصالحون من الصحابة بِهدي نبيهم؛ فكانوا خيرَ رجالٍ التفُّوا حول رسولهم، عدولاً وهُداةً يأتَمُّ الناسُ بهم، يقول الشاعر[16]:

يا خيرَ من وطِىءَ الثرى وتشرّفت بمسيره. الكثبانُ والأحجارُ
يا من تتوق إلى محاسن وجهه شمسٌ ويفْرَحُ أن يراه نهارُ
بأبي وأمي أنتَ ، حين تشرَّفت بك هجرةٌ وتشرَّفَ الأنصارُ
أنْشَأْتَ مدرسةَ النُّبوةِ فاسْتَقَى من علمها ويقينها الأبرارُ
هي للعلوم قديمها وحديثها ولِمَنْهجِ الدينِ الحنيفِ منارُ
لله درُّك مرشداً ومعلماً شَرُفَتْ به وبعِلْمِهِ الآثارُ
ربَّيْتَ فيها من رجالك ثُلَّةً بالحقِّ طافوا في البلاد وداروا
قومٌ إذا دعتِ المطامعُ أغلقوا فمَها ، وإنْ دعتِ المكارم طاروا
إن واجهوا ظلماً رَمَوْه بِعَدْلهم وإذا رأوا ليلَ الضلال أناروا
قد كنتَ قرآناً يسيرُ أمامهم وبكَ اقْتَدَوْا فأضاءتِ الأفكارُ
عَمَروا القلوبَ كما عَمَرْتَ، فما إلا وأفئدةُ العبادِ عَمَارُ

---

[16] العشماوي، عبد الرحمن صالح، **قصيدة هو المختار**.

الكون كله يمدح النبيَّ الأميَّ، قائلاً: إنّ خير العباد هو المختار، هو المصطفى الذي هو خِيارٌ من خِيارٍ من خيار، ذلك الخِيارُ اختاره الله تعالى لِيُبلِّغَ رسالته الخاتمة إلى الإنس والجن، ذلك المختارُ يظل-على الرّغْم من أنف الأعداء- نوراً يُهتدى به، ويشهد بفضله، وكريم خِلاله، الغار الذي حواه قبل الرسالة، وحواه حين أُنزلت عليه ﴿اقرأ﴾ [العلق:1] وحواه حين شاء الله أن تَنْداحَ دائرةُ دينه بالهجرة العظيمة المباركة، كما تشهد بفضله وخِلاله الكعبة المشرفة، وركنها اليماني، ومقام أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، يقول العشماوي[17]:

لو أطلق الكونُ الفسيحُ لسانه   لسرتْ إليكَ بمدحِهِ الأشعارُ
لو قيل : مَنْ خيرُ العبادِ ، لردَّدتْ   أصواتُ مَنْ سمعوا : هو المختارُ
لِمَ لا تكونُ ؟ وأنتَ أفضلُ مرسلٍ   وأعزُّ من رسموا الطريقَ وساروا
ما أنت إلا الشمسُ يملأ نورُها   آفاقَنا ، مهما أُثيرَ غبارُ
ما أنتَ إلا أحمدُ المحمودُ فى   كلِ الأمورِ ، بذاكَ يَشْهَدُ غارُ
والكعبةُ الغرَّاءُ تشهدُ مثلما   شَهِدَ المقامُ ورُكْنُها والدَّار

صدق الله العظيم حين يقول: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر:3] وحين يقول: ﴿سيصلى نارًا ذات لهب﴾ [المسد:3] فالذي يشتم الرسول الكريم ويحاول -بلا جدوى- النيلَ من درجته الرفيعة، ومقامه الرفيع، هو الذي تنحطُّ مكانتُه في الدنيا، لتنالَه الذِّلَّةُ وهوانُ القَدْرِ، وفي الآخرة عذاب عظيم؛ ذلك أن الرسول الكريم هو حاملُ لواءِ رسالةِ السماءِ إلى الأرضِ، وهو الذي كرّمه الله تعالى، ورفعه مكاناًعليًّا، واختاره إماماً للمرسلين ومُنْتَقاهُم، وخَصَّه بِكَوْثر

---

[17] العشماوي، عبد الرحمن صالح، **قصيدة هو المختار**.

الجنةِ، وهو الشّهيد على أمّته يوم القيامة، وله الشفاعة الكبرى، فهل ينالُ شَتْمُ السفهاءِ وشُذَّاذِ الآفاق مِنْ أفضلِ صائمٍ وقائمٍ، يقول العشماوي[18]:

يا خير من صلى وصام وخير من   قاد الحجيج وخير من يَشْتَارُ
سقطت مكانة شاتم ، وجزاؤه   إن لم يتب مما جناه النارُ
لكأنني بخطاه تأكل بعضها   وهناً ، وقد ثَقُلَتْ بها الأوزارُ[19]
ما نال منك منافق أو كافر   بل منه نالت ذلةٌ وصَغَارُ[20]
حلّقت في الأفق البعيد، فلا يدٌ   وصلت إليك ، ولا فمٌ مهذارُ[21]
وسكنت فى الفردوس سُكْنَى من   به وبدينه يتكفَّل القهَّارُ
أعْلاكَ ربُّكَ هِمَّةً ومكانةً   فلكَ السُّمُوُّ وللحسودِ بَوارُ[22]

---

[18] العشماوي، عبد الرحمن صالح، **قصيدة هو المختار**.

[19] جاء في **اللسان:** مادة وَزَرَ: الأوزار جمع الوِزْرِ وهو: الحِمْلُ الثَّقيل. والوزرُ الذَنبُ لِثقَلِهِ، وجمعها أوزار. وأوزار الحربِ وغيرها: الأثقال والآلات، واحدها وِزْرٌ، عن أبي عبيدة، وقيل: لا واحد لها. والأوزار: السِّلاح؛ قال الأعشى:

وأعددت للحربِ أوْزَارَها   رِماحاً طِوالاً وخيلاً ذُكُورَا

ووضعتِ الحربُ أوزارها أي أثقالها من آلةِ حربٍ وسلاح وغيره. وفي التَّنْزيل العزيز ﴿حتى تضعَ الحربُ أوزارها﴾ وقيل: يعني أثقال الشهداء لأنّه عزَّوجلَّ يُمحِّصهم من الذنوب. وقال الفرَّاء: أوزارها آثامها وشركها حتَّى لا يبقى إلا مسلمٌ أو مسالِمٌ، قال والهاء في أوزارها للحرب، وأتت بمعنى أوزار أهلها. الجوهري: الوَزَرُ الإثْمُ والثِّقْلُ والكَارَةُ والسِّلاح. قال ابن الأثير: وأكثر ما يُطلقُ في الحديث على الذّنبِ والإثمِ. يقالُ: وزر يزرُ إذا حمل ما يُثْقِلُ ظهره من الأشياء المُثْقَلَةِ ومن الذُّنوب. وَوَزَرَ وِزْرًا: حمله. وفي التَّنْزيل العزيز: ﴿ولا تَزرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخْرَى﴾.

[20] جاء في **اللسان:** مادة صغر: الصَّغار بالفتح الذلُّ والضَّيم. يُقال صَغِرَ فلانٌ يصْغَرُ صّغّرًا وصَغارًا، فهو صاغِرٌ إذا رضي بالضيم وأقَرَّ به.

[21] الفم المِهْذار: الذي يأتي بكلام لا يُعْبَأُ به، أو كلامٍ يكثر فيه الخطأ والباطل، جاء في لسان العرب: الهَذَرُ: الكلام الذي لا يُعْبَأُ به. هَذِرَ كلامه هَذَرًا: كَثُرَ في الخطأ والباطل. والهَذَرُ: الكثير الرَّدِئ، ورجل هَذِرٌ وهُذَرَةٌ وهُذُرَّةٌ وهَذَّارٌ ومِهْذَارٌ. ابن منظور، **لسان العرب**، ج5، ص65.

ويجيب الشاعر بقوة عن رسول الله ﷺ منافِحًا عن رسوله، غيورًا عليه، مظهرًا حبه له؛ فيكتمل بذلك إيمانه، فحين ظهرت تلك الرسوم على صفحات بعض صحف الدانمرك، وهي تحاول-دون جدوى-الإساءة إلى مقام المصطفى، تساءل الشاعر محتقرًا من شأن الدانمرك التي لا تساوي شيئًا أمام قَدْرِ ومكانةِ أعظمِ الخلقِ- عليه الصلاة والسلام- فما الدانمرك إلا رعاة وبقر، والشاعر يُعْلِي من شأن البقر، ويجعلها فوق رعاتِها فكرًا وفهمًا ﴿...إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان:44] ويقول الشاعر ذلك ليحط من قدر أهل الدانمرك الذين حاولوا النيل من قَدْرِ الرسول الكريم- عليه أفضل الصلاة والتسليم- برسوم رسمها سفهاؤهم، وأشاد بِها معظمهم، بل إن دولتهم لم تفعل شيئًا تجاه الحدث القبيح، وأخذتْهم العزةُ بالإثمِ، فكانوا في موقفِ المساندِ المؤيِّدِ لذلك الانحطاط الخلقي الذي يعبِّر عن روح الغرب الحاقد على نبي الإسلام، ودينه، وأمّته، ومن جانب آخر فهم يسافرون في إلحادهم، وعقولهم هواء، يعملون بطرائق شتّى من أجل طَمْسِ الحقِّ والحقائق، ولكنّ جولة الباطل ما هي إلا ساعة، وجولة الحق الأبلج تمتدُّ عبر الزمان إلى قيام الساعة. ويبدو الشاعر واثقًا ثِقَةَ المؤمنين ذوي الإيمان الذي لا يشوبه شكٌّ، أن الرسول الكريم هو الأعلى قَدْرًا والأسمى مكانةً، والصِّغار هم من حاولوا النيل منه، هم صِغار في قدرهم، صِغار في فكرهم وتفكيرهم، صِغار في حقدهم وكفرهم، الشاعر يعرف كل ذلك عن نبيِّهِ وعن أولئك الصِّغار، لكن الألم مما جناه سفهاء الدنيا، يسيطر عليه، والدموع تغالبه فتسيل بغزارة، وما ذلك الألم والدموع إلا الحب والغَيْرَة، الحب الإيماني الذي يجتاز الموانعَ، ويخترق الحُجُبَ، ليتّصِلَ بالمحبوبِ، ويجد المحِبُّ

---

[22] جاء في **لسان العرب**، مادة بَوَرَ: البَوَارُ: الهَلاكُ.

من ذلك الحب الشرف الذي يحيا به أهل الغَيْرَةِ والإيمان، أما سواهم فقد ماتت قلوبهم وأفئدتهم، ولا عزاء لهم، يقول العشماوي[23]:

ما (دانمركُ) القوم، ما (نرويجهم)   يُصْغِي الرُّعاةُ وتُفْهِمُ الأبقارُ
ما بالهم سكتوا على سفهائهم   حتى تمادى الشرُّ والأشرار
عجباً لهذا الحقد يجري مثلما   يجري (صديدٌ) فى القلوب وَقَار[24]
يا عصرَ إلحاد العقولِ، لقد جرى   بك في طريق الموبقاتِ قطار
قَرُبَت خُطاك من النهاية، فانتبهْ   فلربَّما تتحطَّم الأسوار
إني أقول ، وللدموع حكايةٌ   عن مثلها تتحدَّث الأمطار
إنَّا لنعلم أنَّ قَدْرَ نبيِّنا   أسمى ، وأنَّ الشانئينَ صِغَار[25]
لكنه ألم المحب يزيده   شرفاً، وفيه لمن يُحب فَخَار
يُشْقِي غُفاةَ القومِ موتُ قلوبهم   ويذوقُ طعمَ الرَّاحَةِ الأغْيارُ

ويتَّخذ الشاعر من سيرة الرسول الكريم ﷺ وسيلةً لتسلية المؤمنين، وتعزيتهم في مصائبهم وآلامهم، والرَّفع من روحهم المعنويَّة؛ فيتجاوب الشاعر مع غزة، وما أدراك ما غزة؟ إنها الصمود، إنها الإباء، إنها رفض الخضوع للعدو المحتل، وخططه الخبيثة الماكرة، تجاوب الشاعر مع أهل غزة الأبطال، المحاصرين

---

[23] العشماوي، **قصيدة هو المختار**.

[24] القِيرُ والقَارُ: لغتان، وهو صُعُدٌ يُذابُ فيُسْتَخْرَجُ منه القار وهو شيء أسود تُطْلى به الإبل والسّفن يمنع الماء أن يدخل. ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص369. أمّا الصَّدِيدُ: وصَديدُ الجُرْحِ: ماؤه الرقيق المختلط بالدم قبل أن تَغْلُظَ المِدَّة. وقد أصَدَّ الجُرْحُ وصَدّدَ أي صار فيه المِدَّةُ. والصَّدِيدُ في القرآن: ما يسيل من جلودِ أهلِ النّارِ. وقيل: هو الحميم إذا أُغْلِيَ حتى خَثُرَ. ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص298.

[25] جاء في سورة الكوثر قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

في ديارهم الذين عانوا إلى جانب الاحتلال، نقصًا حادًّا في الغذاء والدواء والماء والكهرباء، حصار جائر فرضه العدو الإسرائيلي بتأييد ومباركة الغرب المؤيد لإسرائيل في كل ما تقوم به ضد أولئك الأبرياء. الحصار الذي فرضه العدو الإسرائيلي على غزة ليس جديداً فهو سلاح من أسلحة الكفر عندما تحيط به قوة الإيمان، والثبات على المبدأ. ويُسلِّي الشاعر أهل غزة الذين حُوصِروا ظلماً وعدواناً قائلاً لهم: إنَّ لنا في رسول الله ﷺ أسوةً حسنةً، وزادًا معنويًّا لمواجهة ذلك الحصار، والصمود في وجه من فعلوه، فالثبات على المبدأ، والشموخ أمام الظلم، وزيادة الوقود الإيماني، كل ذلك يؤدِّي إلى هزيمة العدو، وردِّه خائباً لم ينل خيرًا، و لم يحقق شيئًا مما كان يرجوه من الأهداف الخبيثة، والمطامع غير الإنسانية، يقول الشاعر[26]:

في الشِّعبِ كانَ لنا حصارُ محمَّدٍ   رمزاً وكانَ بدايةً للسُّؤددِ
كتبَ العدوُّ وثيقةَ الغدرِ التي   لم يرعَ كاتبُها مكانَ المسجدِ
في كعبةِ الله الشَّريفةِ علِّقتْ   واشتدَ ظلمُ القاتلِ المتعمِّدِ
في الشِّعبِ كانَ حصارُ أشرفِ   مرسلٍ والأقربينَ لهُ وكلِّ موحِّدِ
طالَ الحصارُ بهم فلم يستسلموا   وتعلَّقوا بالخالقِ المتفردِ
تركوا طغاةَ الكفرِ خلفَ ظهورهم   يتنافسونَ على طبيعةِ جلمدِ
وسَمَوا بأفئدةٍ تَعَلَّقَ نبضها   باللهِ إنَّ اللهَ أعظمُ منجدِ
كانَ الحصارُ تقدُّماً وتألُّقاً   وسُمُوَّ روحِ المؤمنِ المتعبِّدِ
كانَ الطَّريقَ إلى الشُّموخِ لأنَّهُ   ملأَ النُّفوسَ بعزمها المتجددِ

---

[26] العشماوي، عبد الرحمن صالح، **قصيدة حصار غزة**. www.awfaz.com.

كانت معاناةُ الحبيبِ وصحبهِ   لغةَ الصُّمودِ ودرسَ من لم يصمدِ
كانت بدايةَ رحلةٍ نحوَ العُلا   بالرَّغمِ من جورِ الحصارِ الأسودِ
طالَ الحصارُ وجذوةُ الإيمانِ في   قلبِ الحبيبِ وصحبهِ لم تخمُدِ
رفعوا أياديَهُم إلى اللهِ الذي   يرعى ويحفظُ كلَّ داعٍ مرشِدِ
فإذا بليلِ الكفرِ ينكرُ نَفْسَهُ   لَمَّا رأى فجرَ اليقينِ منَ الغدِ
اللَّيلُ مهزومٌ أمامَ نهارنا   والشَّمسُ أقوى من ضياءِ الفرقدِ
والحقُّ أكبرُ من جحافلِ باطلٍ   تمضي بوهمِ مُنَصِّرٍ ومُهَوِّدِ
من ذا يساوي بينَ عزِّ نخيلنا   وشموخهِ العالي وبينَ الغرقد
من ذا يساوي بينَ نارٍ أُجِّجت   وزُبَالَةٍ من جذوةٍ في موقدِ
هذا حصارُ الشِّعبِ كانَ تألُّقاً   وحصارُ غزَّةَ صورةٌ لم تبعدِ
ظلمٌ لمن قالوا نريدُ حكومةً   فيها بأحكامِ الشَّريعةِ نهتدي
ظلمٌ لمرضى طارَ رجعُ أنينهم   لو يفهمُ الأعداءُ صوتَ توعُّد

وهكذا جاء شعر العشماوي في مدح الرسول الكريم ﷺ تعبيرًا صادقًا عمّا يجيش في قلبه، وقلب كلِّ مسلمٍ يُحِبُّ رسوله، ويطرب لسماع مدحه، والحديث عن خُلُقِهِ العظيم. عبَّر الشاعر عن كلِّ ذلك بعاطفةٍ صادقةٍ مخلصةٍ تجاه النبي الكريم، حبًّا له ودفاعًا عنه، وإبرازًا للشمائل المحمدية، وحثًّا على الاقتداء بها، ونشرًا لمحاسن الإسلام التي ظهرت جليَّةً واضحةً في سيرته العطرة.

نتائج البحث:

وأمَّا النتائجُ التي خرج بها الباحث فقد أثبت البحث أن الشاعر عالَجَ بعضَ القضايا الاجتماعيةِ لأمته الإسلامية ألا وهي الرثاء. وأثبت البحث أن العشماوي مدح الرسول ﷺ، ودافع عنه، وأبرز سيرته للمسلمين تأسِّيًا بها تارةً، وتارةً أخرى تسليةً بها واتِّخاذها معينًا في المصائب والمُلِمَّات. وأبْرَزَ البحثُ العاطفةَ القويةَ، الممزوجة بالحبِّ العميقِ، في ذلكم الغرضِ من أغراضِ شِعْرِ العشماويِّ.